الثقافة الاجتماعية وعلاقتها بالدفاع المجتمعي - دولة الإمارات أنموذجاً

Social culture and its relationship to community defense / UAE as a model

سمية شريط - المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية/ الجزائر *

Available online at <https://www.maspolitiques.com/ojs/index.php/ajps/article/view/211>

الملخص:

يؤكد الفيلسوف الألماني "فريدريك هيغل" على وجود ما سماه "روح الأمة"، وروح هذه الأمة وعنوان هويتها في الثقافة؛ حيث تعتبر الثقافة المكون الرئيسي لروح كل أمة وما يميزها عن باقي الدول والمجتمعات، والذي ترتكز عليه الشعوب وتستمد منه عناصرها ومقوماتها وخصائصها عبر القرون، وعلى أساس هذه الثقافة يكون لكل مجتمع شكلاً خاصاً به يساهم في بناء النسيج المجتمعي والتماسك السياسي، ولكل ثقافة مميزات وخصائصها التي تعمل من خلالها على صنع هوية المجتمع، لذلك فـ "هيغل" لم يعتبر الأمة مجرد وعاء مؤسسي وجغرافي، بل أن لديها ما يمكن اعتباره روحها المجتمعية التي تنفرد بها كل أمة، وبالتالي فإن تلك الهوية التي تمنحها الثقافة للمجتمع تتيح بأن يكون له دور دفاعي ضد كل ما تواجهه الدولة من التهديدات والتحديات التي بأمنها القومي، وبذلك يصبح وزنه من وزن الحكومات والجيش وأكثر، وفي هذه الورقة البحثية سيتم التركيز على الثقافة المجتمعية ودورها في الدفاع المجتمعي.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، الثقافة المجتمعية، الدفاع المجتمعي، التهديدات

Summary

The German philosopher Friedrich Hegel emphasizes the existence of what he called the "spirit of the nation", the spirit of this nation and the title of its identity in culture. On the basis of this culture, each society has its own form that contributes to building the social fabric and political cohesion, and each culture has its own characteristics and characteristics through which it makes the identity of society. Meme it regarded her community spirit as unique to each Therefore, the identity given by culture to society allows it to have a defensive role against all threats and challenges faced by the state in its national security, thus becoming the weight of the weight of governments, armies and more. .

Key words: culture, societal culture, societal defense, threats

مقدمة:

تتداخل الكثير من العوامل في بناء بنية المجتمعات وإعطائها ميزة تفرق من خلالها كل مجتمع على الآخر، ولعل أبرز هذه العوامل وأكثرها تأثيراً هي الثقافة، فلا تستطيع أن نتحدث على مجتمع ما دونما الرجوع إلى ثقافة شعوبه والتي بدورها تعطيه الهوية الخاصة به في العالم، والثقافة هي العامل الأكد الذي رافق تطور الشعوب والمجتمعات، وكان في كثير من الأحيان سبباً لانهايار الدول والحضارات.. ومن هنا يمكن طرح الإشكال التالي:

كيف يمكن للثقافة المجتمعية أن تكون عاملاً مؤثراً في عملية تحقيق الأمن الوطني؟

أولاً: الثقافة المجتمعية**1/ مفهوم الثقافة: لغة واصطلاحاً****أ/ الثقافة لغة :**

لقد ورد في معجم مختار الصحاح "ثقف الرجل من باب ظرف صار حاذقاً خفيفاً فهو ثقف مثل ضخم فهو ضخم (ثقف) ومنه المثاقفة وثقف كعضد والثقاف ما تسوى به الرماح وتثقيفها تسويتها وتثقفه من باب فهم صادفه وخل ثقيف بالكسر والتشديد أي حامض جداً مثل بصل حريف"¹ ، فالثقافة في اللغة العربية هي من ثقف بمعنى حذق وفطن. وأما Culture في اللغات الأوروبية فهي من كلمة <كلتور Caltura اللاتينية بمعنى الفلاحة والتهديب، ويستخدمها البعض بمعنى الحضارة، وإن كانت الحضارة هي الثقافة في مرحلتها المتقدمة، حيث الحضارة من الحضر والتحضر، تفيد التمدين.²

وقد استمرت كلمة Culture تفيد معنى الإنماء والحرف، حتى نهاية القرن الثامن عشر، ثم بدأ هذا المفهوم يكتسب معنى جديداً يشير إلى المكاسب العقلية والأدبية والدوقية، وهو يقابل في اللغة العربية مصطلح الثقافة.

ب/ الثقافة اصطلاحاً:

تعرف الثقافة اصطلاحاً بأنها المعرفة التي تؤخذ عن طريق الإخبار والتلقي والاستنباط، كالتاريخ واللغة والأدب والفلسفة والفنون من وجهة نظر خاصة عن الحياة، فالثقافة بمعناها العام هي مجرد المعرفة النظرية، فالثقافة هي الكل المركب

¹ _ بن عبد القادر، الرزاي محمد بن أبي بكر، .مختار الصحاح، دار القلم، بيروت، د.ت ص ص 84 85.

² _ الحفنى، عبد المنعم. (.(المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2000، ص233.

الذي يتضمن المعارف والعقائد والفنون والأخلاق والقوانين والعادات. ولقد عرف المفكر الفرنسي "روجيه غارودي" الثقافة بقوله <:هي كل ما نضيفه إلى الطبيعة، وكل ما يصنع منا إنساناً وليس مجرد حيوان أرقى أي يصنع من شيئاً آخر غير الحيوان: إنه ما نتعالى به.³

وإذا أردنا تتبع تطور مصطلح الثقافة عبر العصور، فسوف نلاحظ أن كلمة ثقافة كانت تعني لدى اليونان الاهتمام الموجه إلى حقل نظري بعينه، وقد استمر استخدامها بهذا المعنى طيلة العصور القديمة والوسطى، وحتى مطلع القرن التاسع عشر، وفي بداية عصر الأنوار، استخدم الفيلسوف ورجل القانون "صمويل فون فندرون" كلمة (ثقافة) لأول مرة بمعنى قريب من ذلك الذي نستخدمه اليوم بهدف التمييز داخل النشاط الإنساني، بين ما هو طبيعي فطري يعود إلى أسباب حيوية، وبين ما هو ثقافي مكتسب.

وهو العمل الذي طوره الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" حيث أنه عرف الثقافة على أنها مجموعة من الغايات التي يمكن للإنسان تحقيقها بصورة حرة وتلقائية، انطلاقاً من طبيعته العقلانية، وبهذا تكون الثقافة في نظر "كانط" أعلى ما يمكن للطبيعة أن ترقى إليه على مستوى الوجود الإنساني، وقد تلاحق بعد ذلك عدد من التعريفات التي أغنت المفهوم كتعريف "هيردر" الذي عرف الثقافة بأنها الصورة أو الهيئة العامة لحياة شعب أو أمة، وقد عرفها المؤرخ الإنجليزي "أرنولد توينبي" في كتابه (الثقافة والفوضى) بأنها محاولتنا الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما في الفكر الإنساني مما يؤدي إلى رقي البشرية. ولم يتردد الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي" من تأكيد أن الثقافة هي التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال وأنها جماع المعرفة الإنسانية، فهي ثمرة تفاعل الإنسان مع البيئة.

2/ مفهوم الثقافة المجتمعية:

نوع من أنواع الثقافات التي تعكس ظروف وبيئة للشعوب، ويقال عنها مجتمعية لأنها تضم الإطار السلوكي والقيمي للمجتمع.. إن "الثقافة المجتمعية" تبين الارتباط القوي بين الثقافة والمجتمع لأنها تعبر عن تاريخ وتطور المجتمعات وتعكس النشاطات الموجودة فيها.

والثقافة المجتمعية هي نتاج المجتمع نفسه، من خلال ما يقوم به أفراد المجتمع ويفكرون به، فالمجتمع تكوين يتم التعرف إليه عبر ثقافته المجتمعية كما يرون علماء الاجتماع بغض النظر عن تطور هذه الثقافة أو تخلفها ولذلك هناك لغة محددة اسمها التكوين المجتمعي ومنتجاته الفكرية والثقافية وقيمه وعاداته وتقاليده والتي نستطيع من خلالها أن نشخص مجتمعاً بعينه.⁴

³ _ غارودي، روجيه. (كيف نصنع المستقبل، ترجمة: منى طلبة وأنور مغيث، ط3، دار الشروق، القاهرة. 2002.

⁴ _ زياد عبد الكريم النجم، الثقافة والثقافة المجتمعية جدل العام والخاص، مجلة مقال <http://mqqaal.com>.

وعلى الرغم من أن التغيير قانون يطال الأشياء المادية والمنتجات الفكرية ومنها بطبيعة الحال الثقافة، إلا أن تغيير ثقافة المجتمع لا يمكن أن يحدث خلال وقت قصير؛ بل ربما يحتاج للأزمة طويلة لكي يحدث لأن الثقافة الاجتماعية يتم توارثها عبر الأجيال، وقد يكون جزء من الثقافة الاجتماعية مستورداً من ثقافات أخرى، كما هو الحال في معظم المجتمعات، فبالرغم من المحافظة على العادات والتقاليد المتوارثة من الآباء والأجداد، تظهر العديد من الأمور الدخيلة على المجتمع نتيجة لتطور الحياة وتداخل المجتمعات ببعضها البعض بسبب وسائل الاتصال والتواصل الحديثة، وسهولة السفر والتنقل بين هذه الدول والمجتمعات.

والثقافة في علم الاجتماع هي جميع جوانب الحياة الإنسان التي ترتبط بالتراث والإنتاج المادي وغير المادي، وكذلك الأفكار والفنون والإبداع الإنساني بمختلف صوره وأيضاً في صورة لجميع علاقات الإنسان في المجتمع، ومن هذا التعريف يمكن التوصل إلى تفسير عام يوضح جميع العلاقات الأساسية الموجودة في المجتمع، والتي تقوم الثقافة المجتمعية بالمساعدة في النهاية ببنائه.⁵

والمجتمع كتكوين يتم التعرف عليه من خلال الثقافة المجتمعية الموجودة به سواء كانت قديمة أو متطورة، ومن هذه النقطة المهمة يمكن لأي فرد أن يشخص أي مجتمع عن طريق الثقافة المجتمعية السائدة به، والتي تعبر عن هذا التكوين بجميع عاداته وتقاليدته والقيم التي يعيش بها أفراد هذه المجتمعات وكذلك الأفكار التي يستندون إليها في طرق حياتهم.

ثانياً: الدفاع المجتمعي والثقافة الدفاعية

1/ مفهوم الدفاع المجتمعي:

ذكر أ. محمد بولعسري في ورقته المعنونة بـ (دور العمل الاجتماعي في الوقاية من الجريمة) أن سياسة الدفاع الاجتماعي تُعد أحد الأساليب التي تستهدف حماية المجتمع من حدوث الانحراف والجريمة والوقاية من آثارها وتحويل الأشخاص المنحرفين من قوى بشرية معطلة إلى قوى قادرة على ممارسة حياة سوية منتجة تسهم في العمل الوطني وذلك عبر تأمين المجتمع ضد ظاهرة الإجرام والانحراف وآثارها من أجل سلامة المجتمع والمواطن ومن أجل النهوض بسياسة اجتماعية شاملة تناهض العنف والإجرام وتهدف إلى حماية المجتمع ضد الأعمال الإجرامية وذلك لتحقيق سياسة جنائية تولي الوقاية الفردية اهتماماً خاصاً وتحاول أن تحقق نظاماً للوقاية من الجريمة.⁶

⁵ _ حسام سعيد، كيف يتم بناء الثقافة المجتمعية وما هي علاقتها بالأخلاق، www.tes3a.com.

⁶ _ عبد الله إبراهيم الكعيد، الدفاع الاجتماعي، جريدة الرياض الإلكترونية.

يقول الأستاذ عامر مصباح أن الدفاع المجتمعي يعني: "الطريقة التي يمكن جعل المجتمع يلتحم مع القوات المسلحة من أجل تحقيق غايات الفعالية العسكرية في مواجهة التهديدات الأمنية الموجهة ضد البقاء القومي للدولة، سواء كانت قادمة من البيئة الخارجية أو متغيرة من البيئة الداخلية نفسها، يقتضي مثل هذا المبدأ عمل مجموعة من العناصر مع بعضها البعض بشكل متزامن وهي: الثقافة السياسية، العقيدة العسكرية، السوسيولوجية الوطنية ومهارة الاستخدام الفعال للأسلحة الفردية".⁷

الهدف الرئيسي للدفاع المجتمعي هو جعل مهمة قوات العدو اختراق الجغرافيا الوطنية أو السيطرة عبر المدن الكبرى صعبة أو فعا للانتحار الاجتماعي، مؤدية في النهاية المطاف إلى الإنهاك العسكري والسياسي ثم الهزيمة، في نفس الوقت ضرورة الحفاظ على التماسك السوسيولوجي للمجتمع مستمرا وفعالا تحت الظروف القتالية القاسية.

2/ الدفاع المجتمعي والتماسك الاجتماعي:

من المفاهيم المهمة والصعبة والمشوقة التي يهتم بدراستها علم الاجتماع وعلم النفس، ومع هذا ليس هناك معنى واضح وقاطع لمفهوم التماسك الاجتماعي، يستعمل المفهوم في وصف الحالات التي يرتبط بها الأفراد بعضهم ببعض بروابط اجتماعية وحضارية مشتركة، ويستعمل عادة في تفسير أسلوب تماسك أفراد الجماعات الصغيرة الذي يكون إما بدافع الإغراء، أي إغراء الجماعة الصغيرة لأعضائها وإما بدافع المصالح والأهداف، أي المصالح التي حققتها أعضاء الجماعة نتيجة انتسابهم إليها وعضويتهم فيها.

وقد استخدم عالم الاجتماع "ايميل دوركايم" اصطلاح التماسك الاجتماعي استعمالا علميا في كتابيه تقسيم العمل "والعمل الانتحاري" وهو يقول في هذا الصدد أن درجة التماسك الاجتماعي يعتمد على طبيعة الجماعة والمنظمات والمجتمعات التي تؤثر تأثيرا كبيرا ومباشرا في أنماط سلوك الأفراد.⁸

وقد أكد ابن خلدون أهمية التماسك الاجتماعي، بقوله: "أن المجتمع وعمرانه لا يمكن أن يظهر للوجود من خلال تفرق جهود الأفراد وتبعثرها فالإنسان الذي يدرك بفطرته سبل عيشه يدرك كذلك ضرورة تعاونه وتماسكه مع الجماعة، إذ ليس في مقدور كل إنسان أن يؤمن حاجاته بنفسه، إن ذلك يتطلب تماسكا وتعاوننا بين الناس.

لماذا التأكيد على التماسك السوسيولوجي كمكون رئيسي في الدفاع المجتمعي؟ يضيف الأستاذ عامر مصباح أنه إذا نظرنا للتجربة العراقية سنة 2003، نجد أن صدام حسين عندما قال في أحد خطباته؛ أن الأمريكيين سوف ينتحرون على أسوار بغداد، كان يعني تحويل البيئة القتالية إلى جحيم الجنود الأمريكيين عن طريق فتح مخازن الأسلحة الخفيفة أمام الشعب للقتال الفردي والزمري، لكن بسبب الهشاشة السوسيولوجية الناتجة عن غياب التضامن العضوي بتعبير

⁷ _ عامر مصباح، الدفاع المجتمعي والبقاء القومي للدولة، في الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية،

www.politics.dz.com

⁸ _ موسوعة مقاتل، <http://www.moqatel.com>

"ايميل دوركايم" وقسوة النظام السياسي التي أنهكت المجتمع وضععت العلاقات الاجتماعية، استطاع الأمريكيون أن يعيدوا توجيه الأسلحة الفردية نحو القتال الداخلي بين مكونات المجتمع بدل مقاتلة العدو الغازي.⁹

الفكرة الأساسية المستخلصة من التجربة العراقية، السورية والليبية؛ أن الدفاع المجتمعي لا ينجح في المناخ السياسي غير الديمقراطي، الهشاشة المؤسسية، الثقافة السياسية الضحلة، والنخب المتناحرة على حساب مصلحة الوطن والمتورطة بطريقة أو بأخرى في الفساد.

يبدأ الدفاع المجتمعي بتركيز الانتباه على تحقيق الفجوة الكبيرة بين المجتمع والأمة، عن طريق خلق ثقافة التكامل السوسولوجي، الثقافة السياسية الوظيفية والربط العضوي بين مفهوم الدولة، المجتمع والأمة؛ عن طريق خلق ثقافة التكامل السوسولوجي، الثقافة السياسية الوظيفية، وقيم الوطن الآمن، يجب النظر إلى كل هذه العناصر على أنها عمليات سوسولوجية تتفاعل ابتداءً في المستويات تحت الوطنية، عبر عمليات التنشئة الاجتماعية السياسية التي تجري في المستويات القاعدية حيث الأسرة، المدرسة، المساجد، جماعات الصداة والعالم الافتراضي.¹⁰

عندما تطبع هذه المعاني في الإدراك المجتمعي والوعي السياسي وتحمل في الثقافة السياسية كمضمون للاتصال الوظيفي، نكون بصدد بلورة مفهوم شامل ووظيفي للدفاع المجتمعي.

ويبقى للثقافة الاجتماعية كأى مصطلح وجه إيجابي ووجه سلبي:

2/ الوجه الإيجابي للثقافة الاجتماعية الدفاعية:

للثقافة الاجتماعية علاقة مباشرة بالأخلاق، وذلك من خلال عادات وتقاليد وسنن المجتمع، وكذلك الطريقة التي تسيطر بها هذه التقاليد على الحياة فإن قام أفراد المجتمع ببناء الإطار السلوكي والفكري على الفضيلة والقيم السلمية، فسوف يضمن ذلك جواً من الاستقرار ويوفر جميع أساليب الراحة في العيش والتربية وغيرها من الأنشطة المختلفة التي يقوم بها أفراد المجتمع ، وعلى العكس إذا أسس الأفراد الثقافة المجتمعية على الفساد والأخلاق السيئة فقد يصبح الجو ملائماً لانتشار الجرائم والفساد بكل أنواعه، ولقد انحرف العديد من الأقوام السابقة بسبب وجود قيم منحرفة بالمجتمع وتقاليد غير صحيحة وغير سوية، مما أدى إلى إسقاطهم للرذيلة وتدمير المجتمع كافة، بحيث أن الأخلاق التي تتكون منها الثقافة الاجتماعية لها دور أساسي في تحديد مكانة المجتمع وازدهاره ومدى تقدمه، فإن كانت الثقافة السائدة ذات مستوى مرموق، فإنها حتماً ستنتج أفراداً ذوي أخلاق عالية وفعالين في المجتمع، والعكس سيؤدي إلى زيادة الفشل وتقشي الجريمة بالمجتمع.¹¹

⁹ _ عامر مصباح، المرجع السابق.

¹⁰ _ المرجع نفسه.

¹¹ _ هديل طالب، الثقافة الاجتماعية، www.mawdoo3.com

هذا من جانب أما من جانب آخر فالثقافة الاجتماعية من شأنها أن تشكل حصنا منيعا لدى الأفراد تجاه الأفكار الغربية والمتطرفة التي من شأنها أن تضر بالأمن الوطني خاصة في يومنا هذا وما نتج عن عصر العولمة من إفرزات تعمل في مضمونها على تفكيك الثقافات ونشر ثقافة بديلة لا تحترم خصوصيات كل مجتمع، هنا يبرز دور الثقافة الاجتماعية وقدرتها الدفاعية، ليس في هذا فقط بل حتى ضد التهديدات الأمنية الجديدة التي أصبحت القوة العسكرية للدولة عاجزة على محاربتها وبات بإمكان الشعوب أن تكون الجيوش الاحتياطية للدول في ظل الانتشار الكبير والواسع لمثل هذه التهديدات، على الأقل فالثقافة الاجتماعية الدفاعية تعمل على نبذ كل ما هو ضار ومهدد للأمن الوطني فعدم تقبله من قبل أفراد المجتمع في حد ذاته يعتبر سلاح يدافع على الدولة من الداخل، خاصة وأن الكل يعلم أن التهديد الداخلي أقوى بأضعاف مضاعفة من التهديد الخارجي وحتى هذا ما باتت تركز عليه الحروب الحديثة.

3/ الوجه السلبي للثقافة الاجتماعية الدفاعية:

الثقافة الدفاعية هي نتاج عقلية دوغمائية جامدة تحيط نفسها بسياج معتقداتي خاص بها يمنعها من إعادة النظر بما هو داخل سياجها الذي تحتمي به من شدة الخوف، وتشغل هذه الثقافة باستمرار وفق نظام التقليد والامتثال والتكرار والاجترار، فينتج عنها تفكير نمطي مسطح معروفة نتائجه مسبقا، وفي ظلها يمتنع العقل تلقائيا عن الاشتغال في أية مساحات تقع خارج مجاله المحدد سلفا، ويتحاشى إجراء أية عمليات تدقيق أو مراجعة لبياناته ومدخلاته وأحكامه التي تتحول بمرور الزمن إلى ما يشبه مقدسات لا يمكن مناقشتها أو اختبارها، وتتعكس هذه الثقافة بشكل واضح على تفكير أفراد مجتمعها وسلوكهم ونشاطاتهم عموما¹².

وفي ظل سيادة هذا العقل تتوسع مساحة ما يسمى اللامفكر فيه، فكل ما هو خارج السياج يقع خارج نطاق عمل هذا العقل الذي ينشغل كليا بتكريس محتوياته وتثبيتها والدفاع عنها، وهنا ينشأ التحيز والتعصب والتطرف، مما يؤدي للغطرسة والتكبر والجهل، وتتسد الطرق أمام الأفكار الجديدة التي يمكن ان تنتج عن الحركة الجارية بدون توقف في واقع الحياة الفعلي.

وبفعل هذا العقل المحاصر تنتعش (المقولات) في حياة الناس و تصدر الأحكام وتتشكل الصور الذهنية بسرعة، حيث يقوم العقل الدفاعي بتصنيف الأمور وإصدار الأحكام فوراً تبعاً لمحتوياته هو لا تبعاً للعوامل الموضوعية، وهو يستعمل لهذه الغاية أحكاماً تعميمية مستعملة مرارا وتكرارا، ولا تراعي أية فروقات بين الحالات والموضوعات المختلفة، وعادة ما تفقر مثل هذه الأحكام للروح العلمية الموضوعية المستقلة، لأنها تصدر بالجملة وبشكل فوري ومباشر. والمقولات عبارة عن أفكار جاهزة وفق قوالب ثابتة مثل قوالب المعامل التي تنتج سلعا موحدة، ويتم

¹² _ محمد البدارين، الثقافة الدفاعية: تنكر الحقائق ولا تعترف بالأخطاء، موقع الإصلاح الإخباري. تم تصفح الموقع يوم 2018/8/25 على الساعة 14.30.

استعمالها للتعامل مع كل القضايا السابقة والقائمة والمستجدة على اختلافها بنفس المقياس ، بدون حاجة للتعرف أو البحث أو التشخيص والمقياس .

وتحتل المقولبات مساحات واسعة في ثقافات المجتمعات غير المتقدمة خصوصا، وهي تقوّل أفكار الأفراد ومواقفهم وسلوكهم بشكل لا يسمح بعمليات التعديل التي تتيحها طبيعة الحياة المملوءة بالمستجدات والمتغيرات، وكلما تغلّغت المقولبات واستحكمت في ثقافة المجتمع، كلما انحصر الناس في معازل فكرية ونفسية واجتماعية، وتشوشت الاتصالات فيما بينهم واضطربت، حيث ينحبس عقل الفرد طوعا داخل قالب محدد ويعجز عن توسيع مجال أنشطته ويظل يستهلك ذات الأفكار الجاهزة والأحكام المسبقة.

رابعا: أنموذج دولة الإمارات

تخطو دولة الإمارات بثبات في مساعيها الرامية إلى تشكيل نموذجها الثقافي القائم على ثنائية المعادلة بين المحافظة على الهوية الوطنية وترسيخها في النشء من جهة والانفتاح على ثقافات العالم من جهة أخرى.. وهو ما ساهم في تحويل الإمارات إلى مسرح للثقافة العالمية دون تفريط بهويتها الوطنية.

إلى ذلك.. فرضت الأحداث السياسية والأمنية التي شهدتها المنطقة طوال العقدين الماضيين منعطفا ساهم في تعميق قناعات المسؤولين والقائمين على الحقل الثقافي بأن ما يواجهه العالم العربي بحاجة إلى معالجة فكرية ثقافية أكثر ما هو بحاجة إلى الحلول السياسية أو الأمنية.

وشدد الخطاب الثقافي الإماراتي على ضرورة تشكيل خط دفاع مجتمعي أساسه الثقافة والفكر والوعي المجتمعي في مواجهة خطابات الإقصاء والتعصب التي قادت المنطقة والعالم إلى دوامة التطرف والتشدد والإرهاب .¹³

عطفا على ذلك ..أعلنت الإمارات من قيم التسامح ونشرت منظومة القيم الإيجابية بالمجتمع وحثت على التعايش والوسطية والاعتدال وقبول الآخر. ونجحت خلال الفترة الماضية في تحويل الأنشطة والفعاليات الثقافية التي تقيمها على أرضها إلى منصات عالمية لإدارة حوار الثقافات والشعوب المختلفة بهدف فهم الآخر وتعزيز مفهوم التسامح على المستوى المحلي والعالمي

وفي هذا الإطار، جاء افتتاح متحف "لوفر أبو ظبي" في نوفمبر الماضي الذي يربط في مشهد ثقافي وفني فريد، وللمرة الأولى، منطقتنا العربية بجذورها الحضارية العريقة والعميقة بعالم الفنون والثقافة الغربية بما يحويه من تاريخها وحضارتها ويلهم العالم أجمع رؤية إبداعية تجمع معاني التسامح والمحبة والرقى في أبهى صورها.

¹³ _ "الإمارات.. أنموذج محاربة التشدد بالثقافة.. ولا مساس بالهوية"، تقرير عن وكالة الأنباء الإماراتية، <http://nna-leb.gov.lb/ar/show-new>

ويفضل حالة التنوع الثقافي الغني الذي تنسم به، تحولت الإمارات إلى حاضنة لثقافات العالم وجامعة لها وكأنها تختزل ثقافات العالم أجمعها وقلما تعبر شارعا أو ممرا أو تدخل مركزا تجاريا إلا وتجد أمام ناظريك ما يحيلك إلى ثقافة بل ثقافات متعددة تعيش كما تريد.

وتحقق الإمارات معنى التنوع الثقافي المثمر بما تجمعته على أرضها من جنسيات متنوعة تعيش في أمن وسلام.. وتمارس نوعا من التثاقف والتواصل الثقافي فيما بينها. وتحمل كل جنسية تعيش على أرض الإمارات ثقافتها.. بما يشمل مدلول المفهوم من ممارسات حياتية ويومية وأنماط السلوك والتفكير والتعبير.. ويتم تناقل هذه الممارسات الثقافية بشكل أو بآخر بين الجنسيات المختلفة عبر قنوات متعددة.. من أهمها الفعاليات والأنشطة الثقافية التي تنظمها الجاليات المقيمة في الدولة في مناسبات رسمية وموسمية، ويتم فيها عرض واستعراض الكثير من الأنماط الثقافية والرموز التراثية التي تعكس ثراء كل ثقافة وتنوعها على حدة.

وانعكس التنوع الديموغرافي والمجتمعي في الإمارات على طبيعة الفعاليات الثقافية التي باتت أكثر شمولية وتنوعا. في المقابل.. نما معدل الاهتمام بالمهرجانات التراثية التي شهدت اهتماما أكبر من أي وقت مضى في ظل اهتمام رسمي فريد بهذا النوع من المهرجانات لما لها من تأثير في تعزيز الهوية الوطنية بمختلف أطيافها الفكرية والشعبية والحياتية إضافة إلى ما تشمله قيم وأخلاقيات أصيلة.

وكعادتها في كل عام احتفلت الإمارات في شهر مارس/ آذار الماضي بشهر القراءة من خلال أكثر من 1700 مبادرة وفعالية تناولت مختلف أوجه الأنشطة القرائية والثقافية والمعرفية وسط انخراط مختلف فئات المجتمع أفرادا ومؤسسات، وعلى الصعيدين الاتحادي والمحلي، في هذه التظاهرة المعرفية الأكبر والأشمل من نوعها سنويا على مستوى الدولة.

14

وتضمن "شهر القراءة" هذا العام فعاليات جديدة امتدت على أيام الشهر مثل "كتاب مع وزير" وهي مبادرة تم فيها إعداد فيديو لمدة دقيقة يتحدث فيه أحد الوزراء عن كتاب قرأه والأثر الذي تركه الكتاب لديه، و"ساعة القراءة" بحيث تم تخصيص ساعة محددة خلال أحد أيام شهر القراءة يختار فيها موظفو الجهات الحكومية الاتحادية والمحلية كافة كتابا لقراءته، إلى جانب "كرنفال القراءة" الذي شمل فعاليات متنوعة موجهة لطلبة المدارس ولمختلف فئات المجتمع من بينها معرض للكتاب وجلسات قرائية وورش قرائية ومسرحيات وغيرها.

وفي إمارة الشارقة أوفى "معرض الشارقة الدولي للكتاب" بكل وعده حيث حطمت الدورة 36 التي أقيمت في نوفمبر 2017 جميع الأرقام القياسية سواء من ناحية الزوار الذين بلغ عددهم أكثر من 2.38 مليون زائر، أو من ناحية الفعاليات والمشاركات حيث شهد المعرض إقامة أكثر من 2,600 فعالية ثقافية، ومشاركة أكثر من 400 مؤلف ومفكر، و1,690 جهة عارضة من 60 دولة، عرضوا ما وصل إلى 1.5 مليون مؤلف.

وشهدت الشارقة أيضا حدثا ثقافيا غاية في الأهمية تمثل في رعاية صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، لافتتاح "مدينة الشارقة للنشر" التي تعتبر أول منطقة حرة من نوعها للنشر في العالم العربي.

ويتمشى الهدف من إنشاء مدينة الشارقة للنشر مع المهمة العامة التي تضطلع بها هيئة الشارقة للكتاب، وهي السعي إلى تعزيز الاستثمار والنمو في قطاع النشر بإمارة الشارقة بشكل خاص، وفي دولة الإمارات العربية المتحدة بشكل عام.

وتستوعب المدينة 400 ناشر في مقرها الذي يتكون من طابقين ويمتد على مساحة 20 ألف متر مربع، وسوف تكون المدينة مقرا للناشرين والموزعين ودور الطباعة والمترجمين وكذلك الأنشطة المرتبطة بالنشر.

وبالعودة إلى معارض الكتاب، حقق معرض أبو ظبي الدولي للكتاب في دورته الثامنة والعشرين التي أقيمت في إبريل 2018، نجاحا كبيرا تمثل بمشاركة 1350 عارضا من 63 دولة، من بينها بولندا ضيف شرف المعرض هذا العام.

ورفع المعرض في دورته هذا العام شعار "تبني المستقبل"، وقدم أكثر من 500 ألف عنوان كتاب بمختلف اللغات، وقد اختير المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، "شخصية المعرض"، بمناسبة مرور 100 عام على ميلاده.

وفي إمارة دبي قدمت الدورة الرابعة من مهرجان "دبي كانفس" - التي أقيمت في فبراير الماضي مجموعة من الفنون الإبداعية الحديثة التي تعرض للمرة الأولى في دولة الإمارات والمنطقة. وشهدت فعاليات المهرجان هذا العام أعمال تم تنفيذها بالرسم باستخدام أدوات غير تقليدية مثل "الشريط اللاصق" علاوة على الأعمال الفنية المطاطية المملوءة بالهواء والرسم المجسم على الرمل وأخرى تنتمي لمدرسة "فن إعادة تشكيل الأشياء" إضافة إلى "رسوم الغرافيتي المتداخلة" وهي فنون بصرية ذات طبيعة خاصة ابتعد فيها مبدعوها عن السياق التقليدي المتعارف عليه لفن الرسم¹⁵.

وبدوره، تابع معرض "آرت دبي" في نسخته الثانية عشر التي استضافتها إمارة دبي في الفترة من 21 حتى 24 مارس 2018 تألقه كواحد من أبرز المعارض التي تستضيفها دولة الإمارات والمنطقة ككل. وشهد المعرض مشاركة 105 معارض من 48 بلدا مقسمة بين قاعات "كونتمبراري" للفن المعاصر و"مودرن" للفن الحديث وقاعة "ريزدينتس" (الفنان المقيم) الجديدة ليعزز آرت دبي موقعه الريادي بين المعارض العالمية من ناحية الرقعة الجغرافية الممتدة في المعرض والمنصة الفنية الأكبر للفنون في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب آسيا.

نلاحظ من خلال ما ذكر أن الإمارات من الدول التي أولت للثقافة أهمية كبرى ووظفتها بشكل كبير في الدفاع المجتمعي، كونها تضم مجتمعا مختلطا من كل الجنسيات والأجناس، تعول عليه كثيرا في الحفاظ على الأمن والسلم

¹⁵ المرجع نفسه.

في الداخل والخارج خاصة وأنها أصبحت دولة سياحية بامتياز من المهم أن تضمن سمعة الدولة من أي تهديد مستقبلي.

الخاتمة:

من خلال ما تم ذكره نستطيع القول أن الثقافة كانت ولا زالت تلعب دورا كبيرا في الحفاظ على سلامة الشعوب، فالوعي المجتمعي بالمخاطر والتهديدات التي تترصد الدولة يعد سلاحا مسبقا للقضاء عليها دونما تدخل الحكومة، خاصة وأن الحروب الحديثة أصبحت تستعمل الشعوب وتستهدف المجتمع من خلال خلق النعرات بين طوائفه وتياراته المختلفة سواء كانت سياسية أو دينية أو غيرها، فالشعوب التي تمتلك ثقافة اجتماعية سليمة بإمكانها أن تتغلب على التهديدات المحتملة والقضاء على المؤامرات التي تستهدف الدول بضربها في الداخل، ولذلك فهي تشكل حصنا منيعا ضد كل الأفكار المتطرفة والخطيرة، وبالتالي فالثقافة الاجتماعية تساهم بشكل كبير في عملية الدفاع المجتمعي كآلية مسبقة للحفاظ على الأمن القومي للدول.

List of references:

- 1 / bin Abdul Qadir, Al-Razai Muhammad bin Abi Bakr ., Mukhtar al-Sahah, Dar Al-Qalam, Beirut, DT.
- 2 / Al-Hefny, Abdel-Moneim ., The Comprehensive Dictionary of Philosophy Terminology, 3rd edition, Cairo: Madbouly Library, 2000.
- 3 / Garaudy, Rojhem, How to Make the Future. Translated by: Mona Tolba and Anwar Magith, 3rd floor, Cairo: Dar Al-Shorouk 2002.
- 4 / Ziyad Abdul Karim Al-Najm, Societal Culture and Culture, Public and Private Controversy, Article Magazine <http://mqqal.com>
- 5 / Hossam Saeed, How is community culture built and what is its relationship to ethics, www.tes3a.com website was accessed on 20/8/2018 at 23:00.
- 6 / Amer Mesbah, Community Defense and National Survival of the State, in the Algerian Encyclopedia of Political and Strategic Studies, www.politics.dz.com
- 7 / Abdullah Ibrahim Al-Kaid, Social Defense, Al-Riyadh Electronic Newspaper.
- 7 / Hadbel Taleb, Social Culture, www.mawdoo3.com The site was accessed on 25/8/2018 at 00:30
- 8 / Mohammed Al-Badareen, Defensive Culture: Denies facts and does not admit mistakes
- 9 / "The UAE .. Model of combating militancy against culture ... without compromising identity", a report on the Emirates News Agency, <http://nna-leb.gov.lb/ar/show-new>, the website was browsed on August 26 2018. The time is 22.00.
- 10 / Encyclopedia of a fighter, <http://www.moqatel.com>